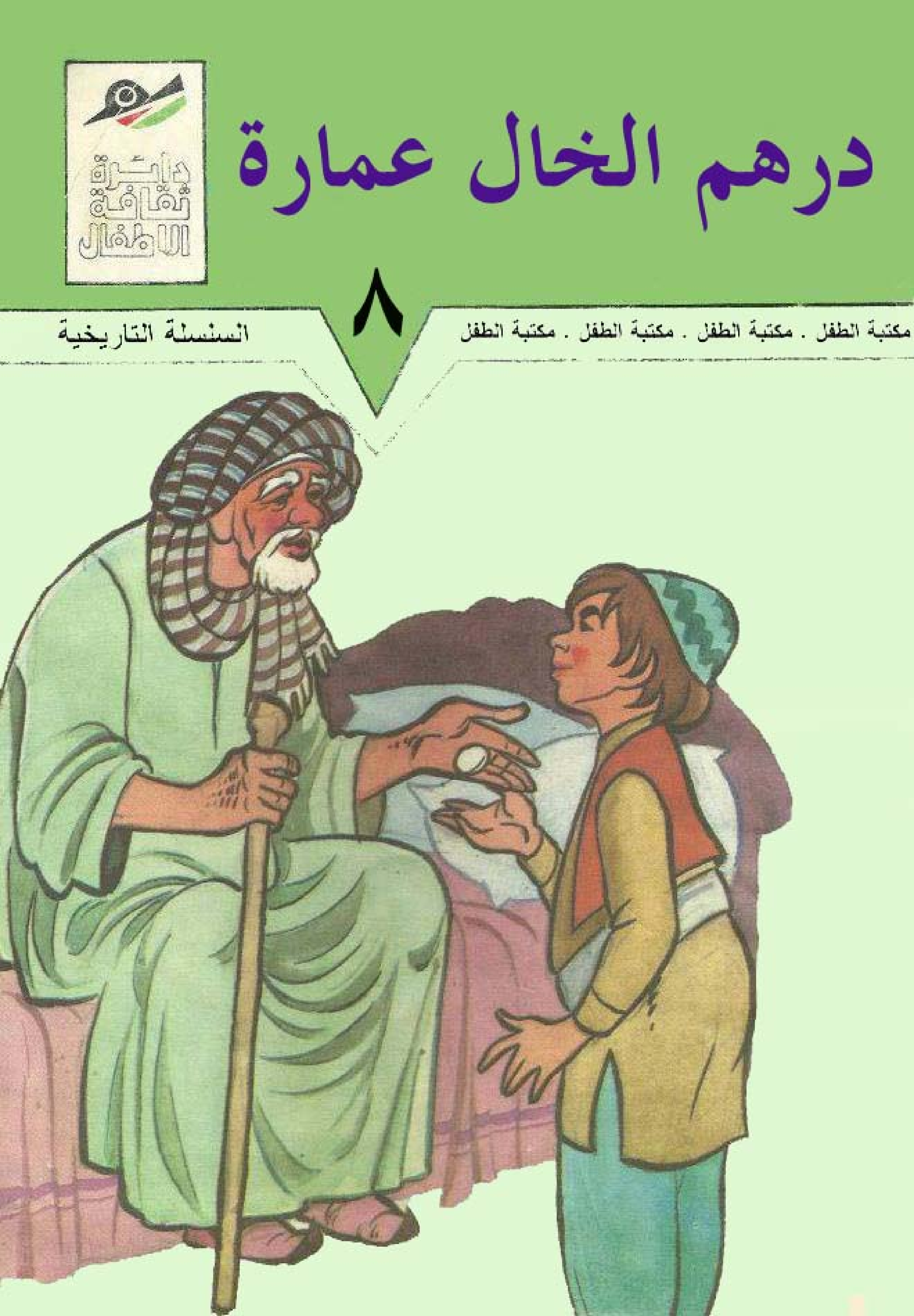
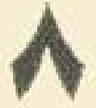

دائرة ثقافة الأطفال
درهم الخال عمارة
٨
مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل
السلسلة التاريخية



درهم الخال عماره

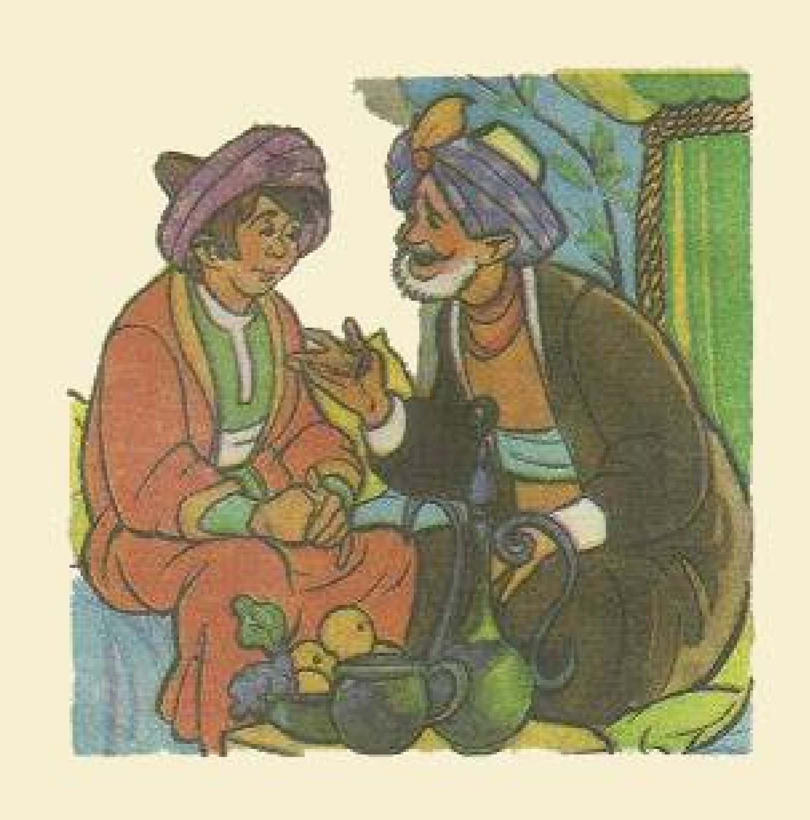
– مكتبة الطفل –
دائرة ثقافة الاطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

السلسلة التاريخية



درهم الخال عمارة

تأليف : فواز شعار
رسوم : ضياء الحجار
تصميم : خليل الواسطي



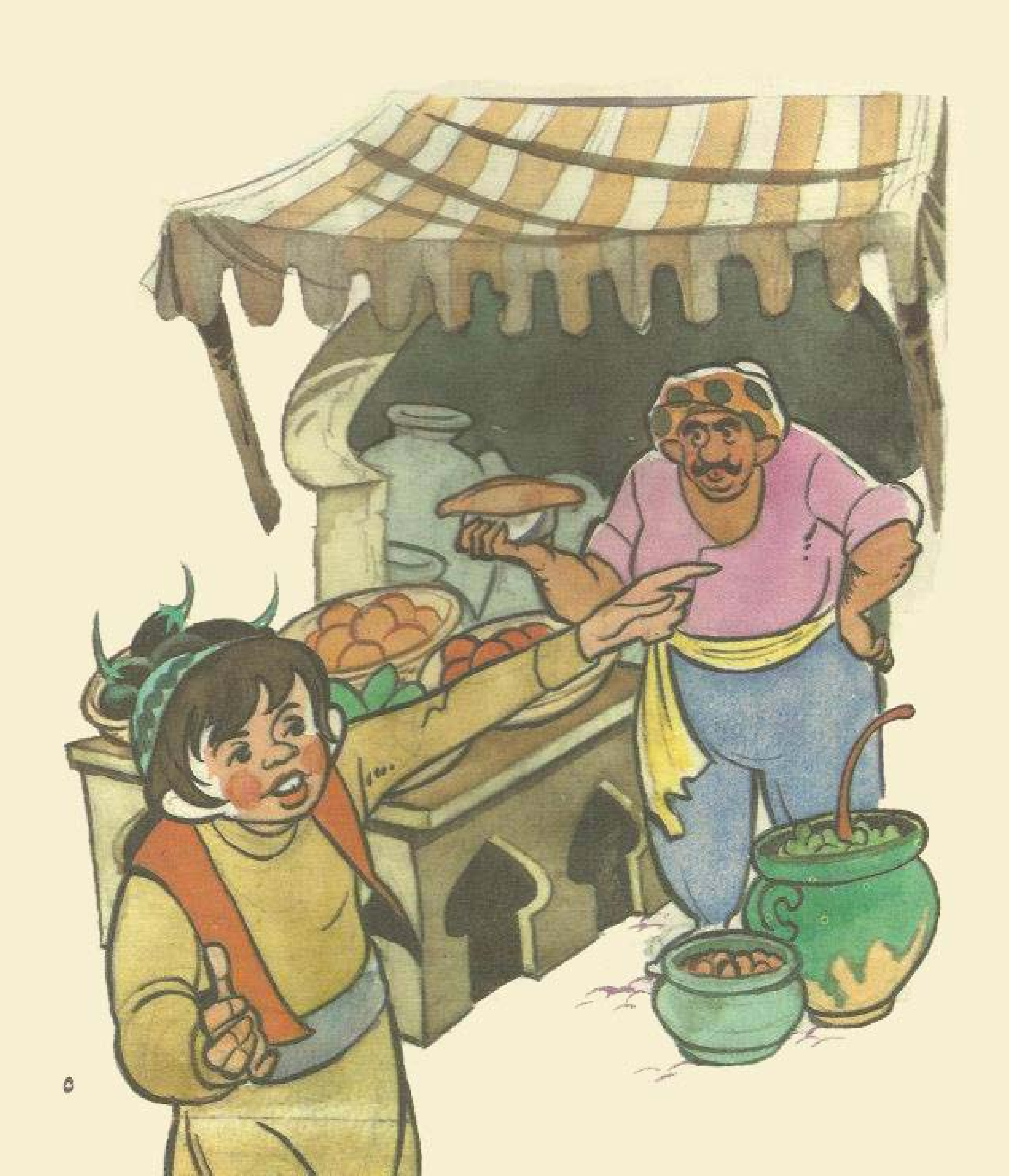
امتدتْ يدُ الخالِ «عمَاره» بالدِّرهَمِ وهي ترتعشُ من المرضِ إلى ابنِ أخته الصبي عبدِالملك . فتناوله شاكراً . داعياً الله لهُ بالعافية .

وسَرعانَ ماعادَ عبدُ الملكِ إلى بيته المتواضعِ في الحيِّ القريبِ من السوقِ بالبصرةِ . وهو مسرورٌ بالدِّرهمِ الذي تعوّدَ أن يأخذَهُ من خاله كلَّ يوم .



خرجَ عبدُ الملك من حُجْرَتِهِ . فرآهُ البَقّالُ (أبو عيسى) وقَدَّمَ لهُ رغيفاً من الخُبزِ وبعض الجُبْنِ الطريَ . ولكنَّ عبدَ الملك قال له : لا أريدُ شراءَ طعامٍ هذا اليومَ .

ثُمَّ تابعَ سيرهُ إلى سوقِ الورّاقين بالبصرة وهو السوقُ الخاصُّ بالكتبِ والدفاترِ والأقلام . فاكترى بالدرهمِ كتاباً سميكاً . وعادَ به مسروراً الى حُجرته . ولزمه طولَ النهار . وقِسْطاً من الليل .



وفي اليومِ التالي ، ذهبَ عبدُ الملكِ إلى خالِهِ فعادَ بالدرهمِ ، وتوجه إلى دُكّانِ البَقّالِ فدفعَ له الدرهمَ واشترى به خبزاً وجبناً وبعضَ الزيتِ.

تَعَجَّبَ البقالُ ممّا فعلَهُ عبدُ الملك ، وسأله لماذا امتنعَ بالأمس عن شراءِ الطعامِ. فقال عبد الملك :

– درهمُ خالي (عمارة) أُنفِقُهُ يوماً للطعام ، ويوماً لاكتراءِ الكتبِ من الورّاقِ ، فازداد عَجَبُ البقالِ من هذا الصّبيِ ، الذي يأكلُ يوماً ويجوع يوماً من أجل أن يتعلَّمَ.





ثابرَ عبدُ الملك على طَلَبِ العلمِ ، باكتراءِ الكُتُبِ وقراءتِها ، وبحضورِ حلَقاتِ العِلمِ في البصرة التي يُدرِّسُ فيها المعلمونَ طُلَّابَ العِلْمِ . وكانت هذه الحلقاتُ كالمدارسِ في عصرِنا الحاضر . بينما كانَ البقالُ يزدادُ عَجَباً من ثباتِ عبدِ الملك ، وصبرِهِ على الجوعِ والفقرِ في سبيلِ العلمِ .

خرجَ عبدُ الملك كعادَتهِ في أحدِ الايام ، حاملاً كُتبَهُ ، مُتوجِهاً إلى دروسِهِ . فخاطبه البقالُ ، وقد رأى اعتلالَ صحته :

– إنكَ تُجْهِدُ نفْسَكَ في القراءةِ ، وتُنفقُ دَراهمكَ في اكتَراءِ الكتب ، وتَحرِمُ نفسَكَ من الغِذاءِ ، فلماذا لاتترُكُ هذا العَناءَ ، وتترفّهُ بدراهِمِكَ ؟





لم يوافقْ عبدُ الملك جارَه البقالَ على رأيه ، وتابعَ طريقَه إلى طلبِ العلمِ .
وفي المساءِ . عادَ حزيناً كاسِفَ البال . فلمّا رآهُ البَقّالُ سألَهُ عن سببِ حُزنه فقال عبدالملك :

– ماتَ خالي يا أبا عيسى . ماتَ يرحمه الله .

فهزَّ البقال رأسَهُ وقال – ساخراً – :

– يرحمُ اللهُ خالَكَ . . و . . ويرحمُ الدرهمَ .



ذاتَ يومٍ . .

عادَ عبدُ الملكِ من دروسِهِ وهو يحملُ بعضَ الكتبِ ، فرآه البقالُ وخاطبَه ساخراً :

– ياعبدَ الملكِ . أترى لو أعطيتَني كتُبَكَ هذه ، أضعُها في خابيةٍ ، وأصبُّ عليها الماءَ فتصيرُ خلاً . أليسَ هذا خيراً لك من حمْلِها غادياً رائحاً في الصباحِ والمساءِ ؟

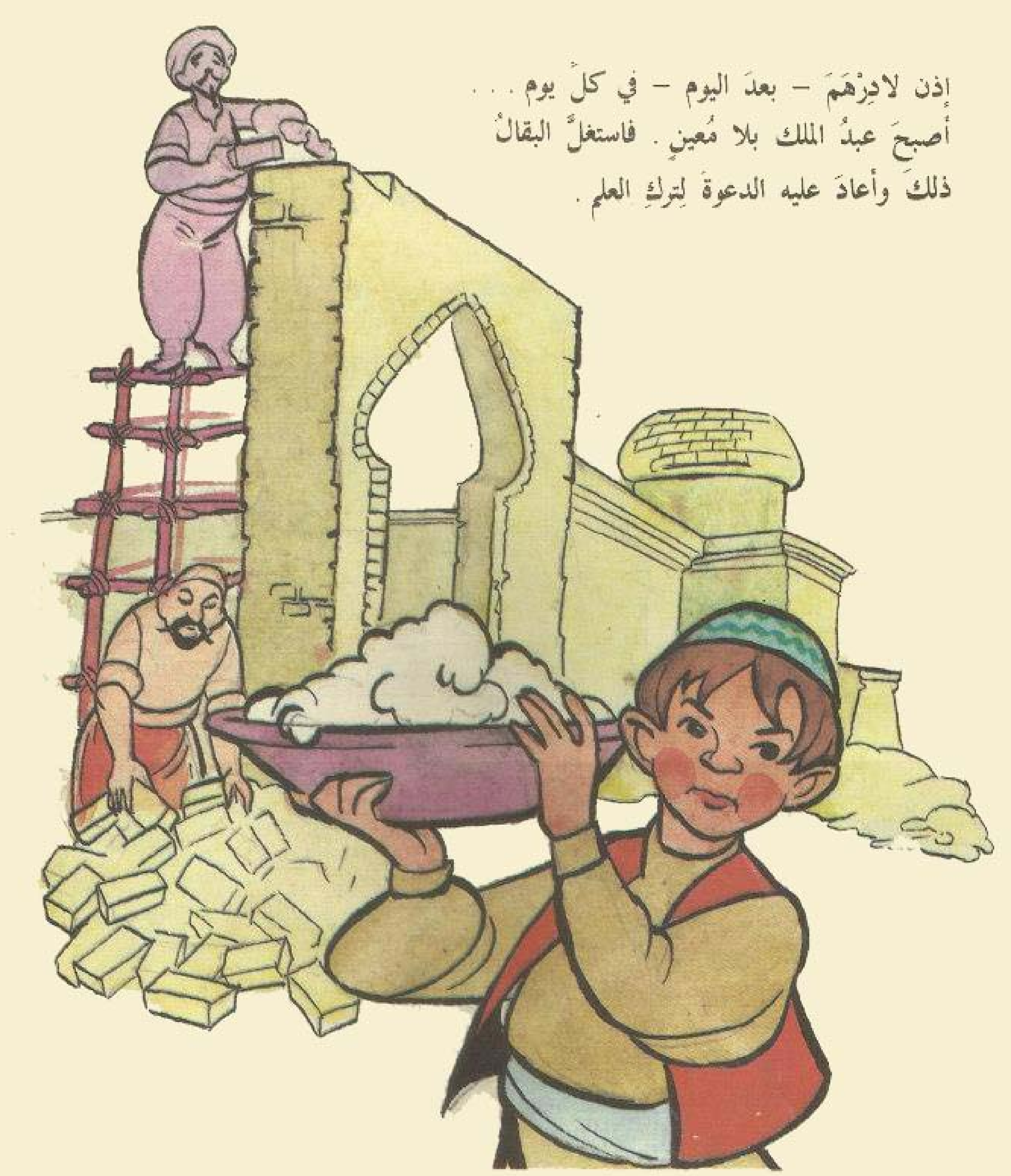
تأثَّرَ عبدُ الملك بسببِ سُخْرِيةِ البقالِ مِنْ كتُبِهِ وسَعْيِهِ في طَلَبِ العلمِ . ولكنه تمالَكَ نفسَه وقال :

– هذه الكتبُ عندي يا أبا عيسى هي خيرُ مافي الدنيا .

فضحكَ أبو عيسى – وهو يتمادى في سخريته – وقال :

– لو أعطيتَني كتبَكَ كلَّها . وسألتني بدلاً عنها تمرةً من دكاني . لما أعطيتُك .

إذن لادِرْهَمَ – بعدَ اليوم – في كلِّ يوم . . .
أصبحَ عبدُ الملك بلا مُعينٍ . فاستغلَّ البقالُ
ذلكَ وأعادَ عليه الدعوةَ لِتركِ العلم .

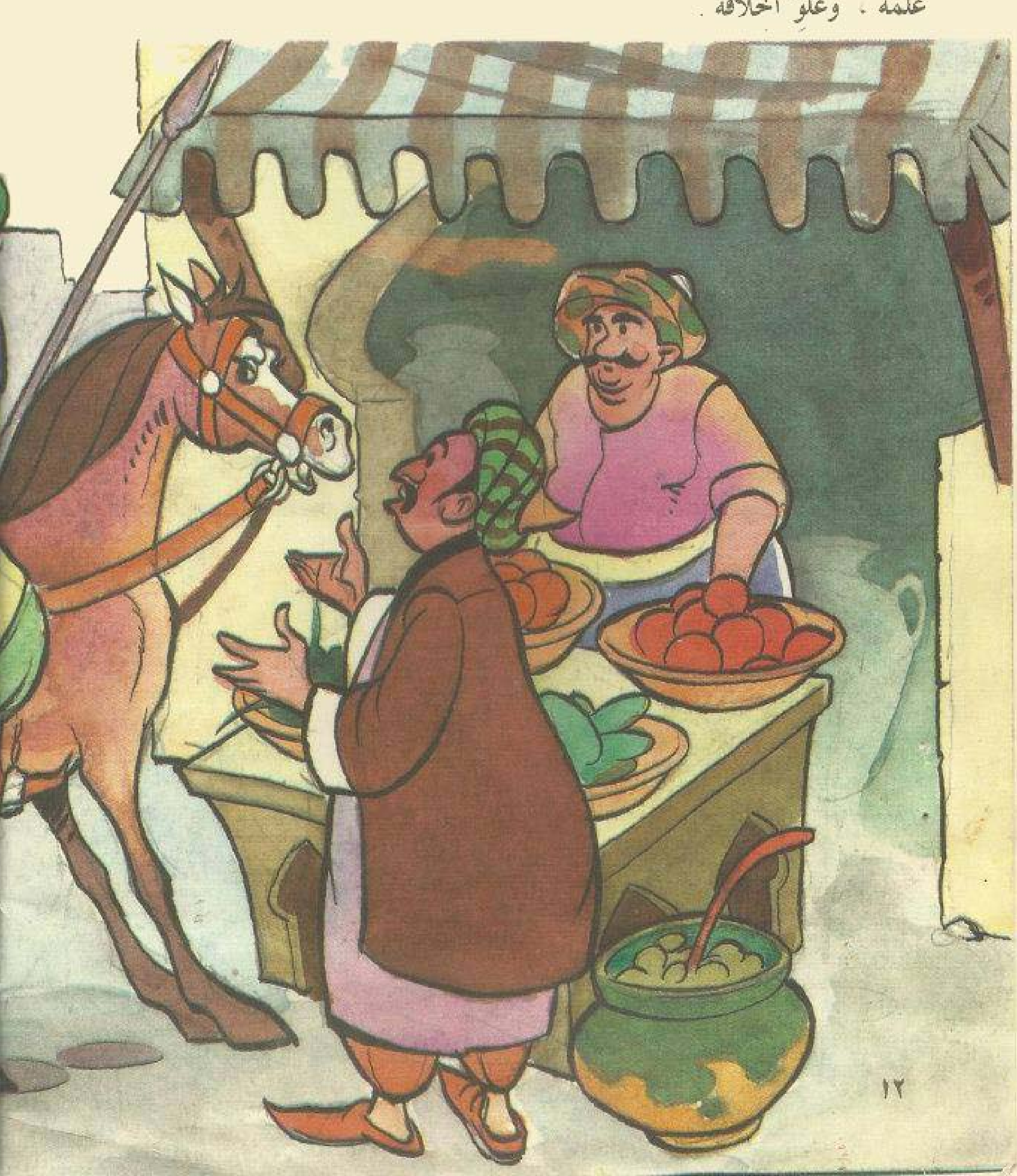


لكنَّ عبدَ الملك صَمَّمَ على مُواصَلَةِ طريقِهِ مهما واجهَ من صعوباتٍ . فصار يستعينُ على مَعَاشه بالعملِ . حتى استطاعَ أن يعلوَ درجاتٍ في التحصيلِ العلمي .

أما أبو عيسى البقالُ . فصار يَسْخَرُ من عبد الملك كُلَّما رآهُ . لأنه لم يستجبْ لإغراءاتهِ بتركِ العلم .

قضى عبد الملك ليلَته حزيناً ، يفكر في سخريةِ البقالِ منه . لكنه وَجدَ أنَّ ذلك لايثني من عزمهِ مادامَ على صوابٍ . فطريقُ العِلْمِ هو السبيلُ الى الرِفعةِ مما هو فيه .

وفي الصباحِ غدا إلى دروسهِ وتحصيلِه . ثم ثابر على ذلك يوماً بعدَ يومٍ . وشهراً بعدَ شهرٍ . وسنةً بعدَ سنةٍ . حتى عُرِفَ بين زملائهِ ومعلّميه وعند ذوي الشأن والعلماءِ . بسعةِ علمه ، وعُلُوّ أخلاقه .



ذاتَ يومٍ . رأى البقالُ جنودَ والي البصرةِ . مقبلينَ . يسألونَ عن شابٍ من أهلِ الحي . وكم كانت دهشتُه كبيرةً . عندما علم أنهم يسألون عن عبدِ الملك . وظنَّ أنهم جاءوا يريدونه لدَيْنٍ عليه . أو لجنايةٍ ارتكبَهَا .

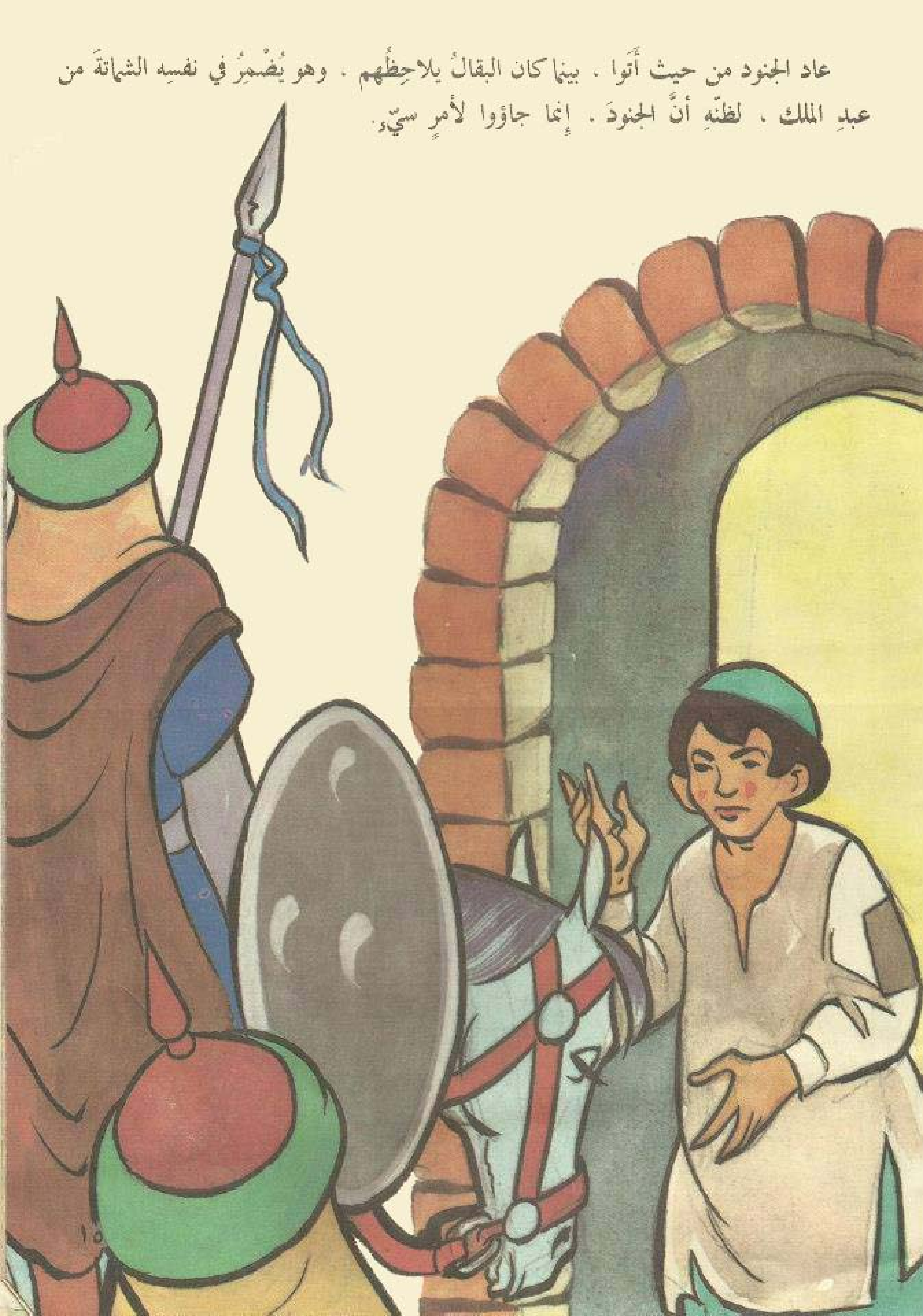


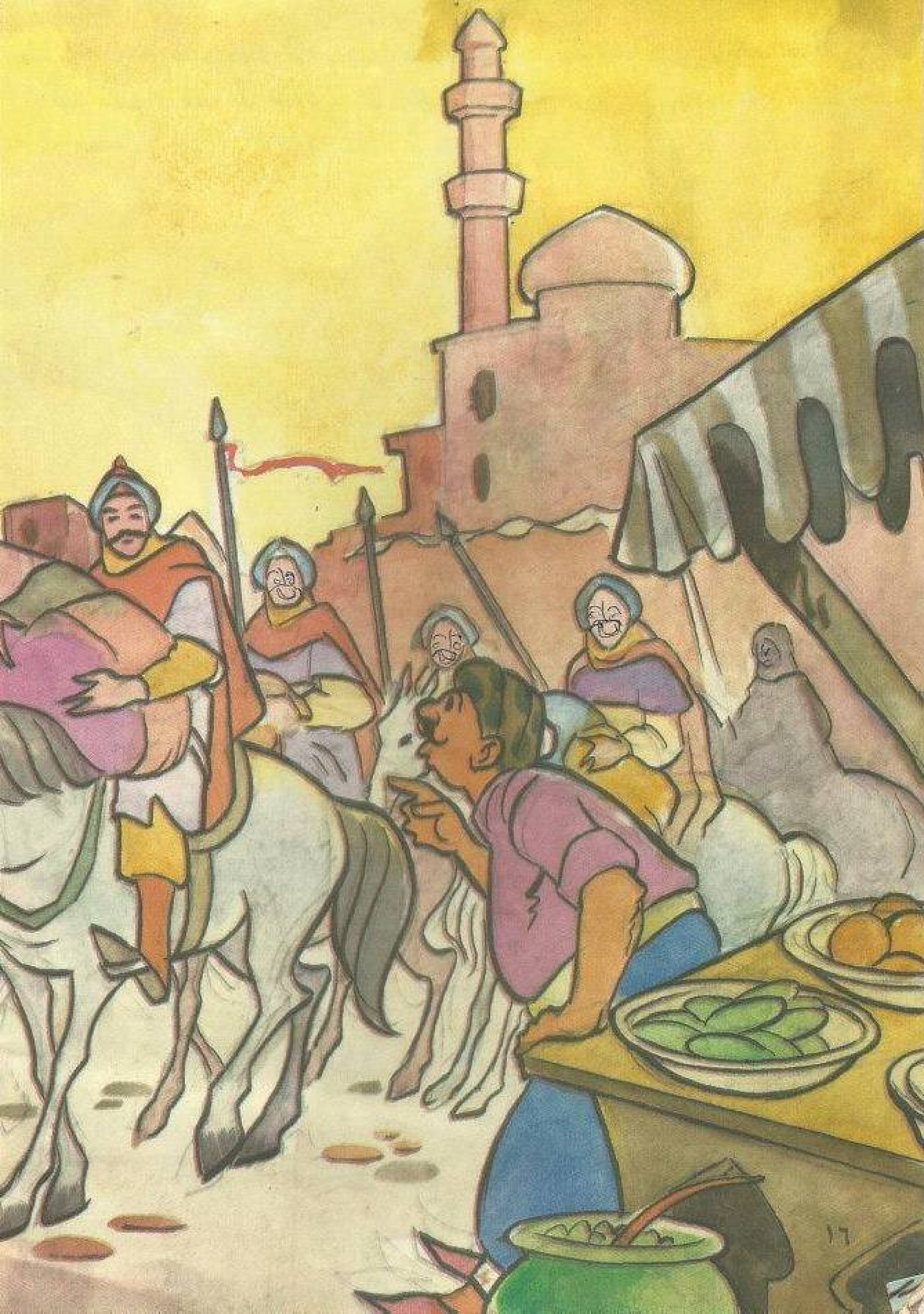
عرف الجنودُ بيتَ عبدِ الملك ، وطلبوا أن يحضرَ معهم لمقابلةِ الوالي ، لكنَّ عبدَ الملك قال لهم - وقد استحى من ثوبه المُرَقَّعِ - :

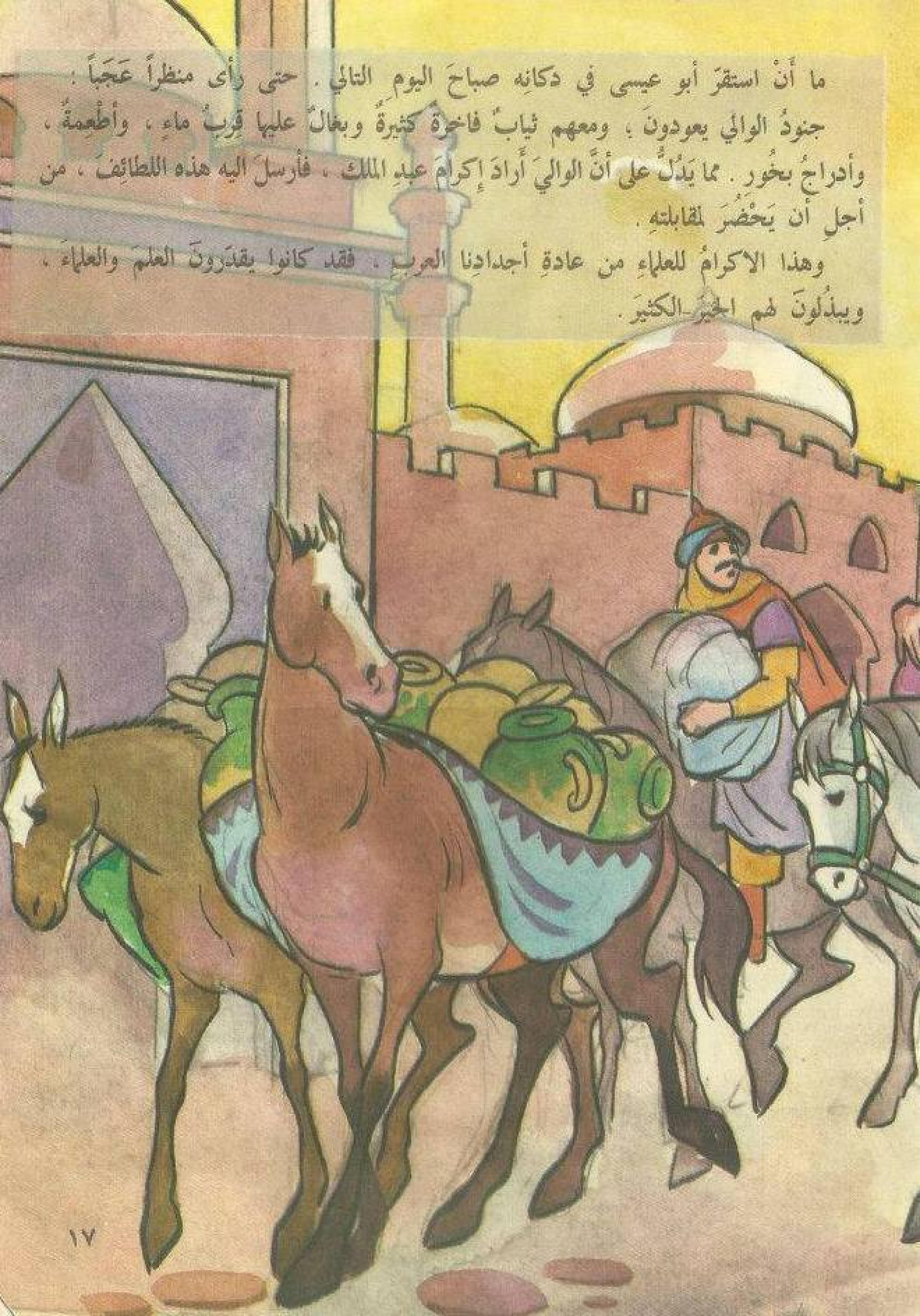
- قولوا للوالي : (لو رأيتَ عبدَ الملك لما سَرَّتْكَ رؤيته) .



عاد الجنود من حيث أَتوا ، بينما كان البقالُ يلاحِظُهم ، وهو يُضْمِرُ في نفسِه الشماتةَ من عبدِ الملك ، لظنّهِ أنَّ الجنودَ ، إنما جاؤوا لأمرٍ سيّءٍ.







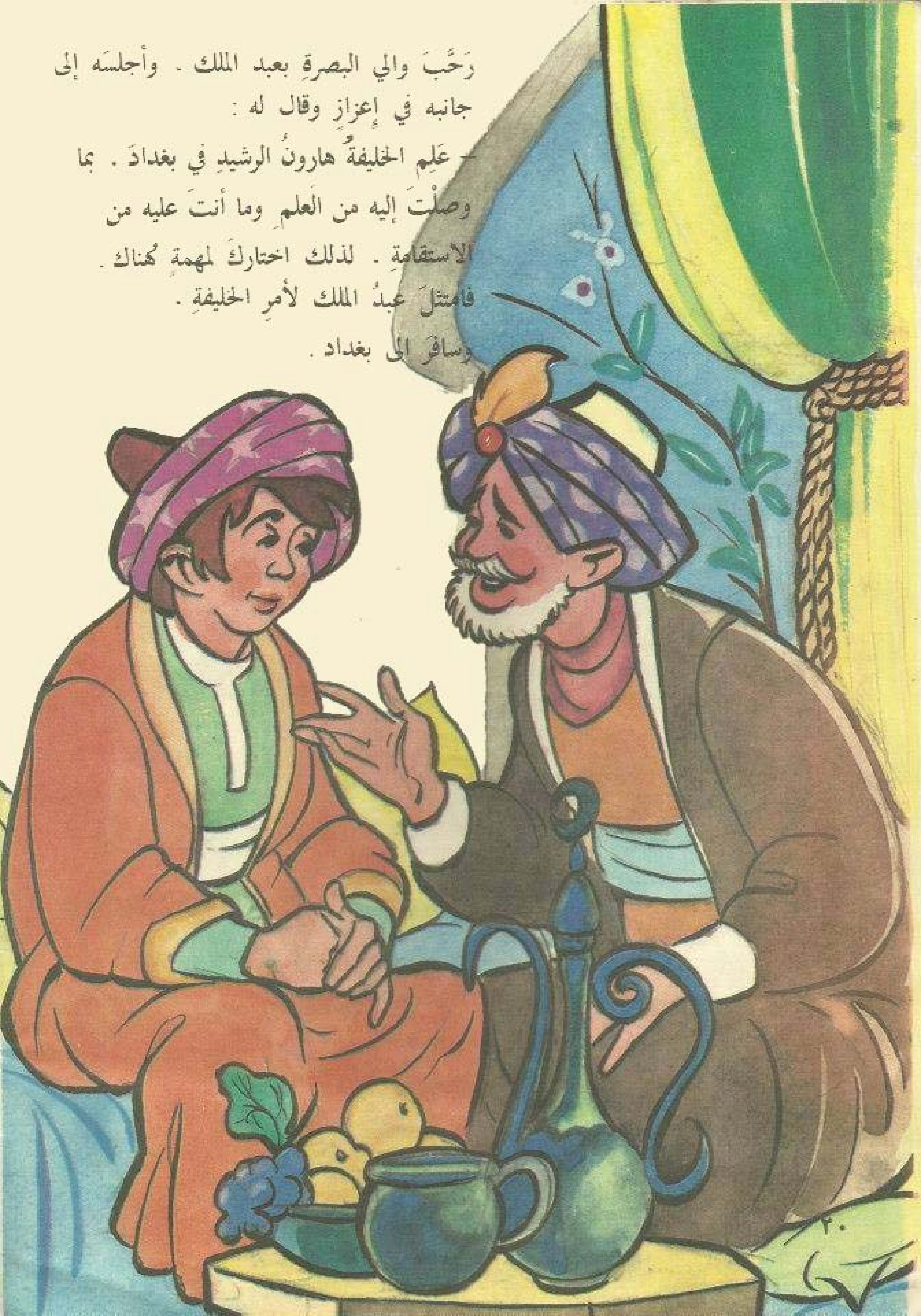
ما أَنْ استقرَّ أبو عيسى في دكانِه صباحَ اليومِ التالي ، حتى رأى منظراً عَجَباً : جنودُ الوالي يعودونَ ، ومعهم ثيابٌ فاخرةٌ كثيرةٌ وبغالٌ عليها قِربُ ماءٍ ، وأطعمةٌ ، وأدراجُ بخورٍ . مما يَدُلُّ على أنَّ الواليَ أرادَ إكرامَ عبدِ الملكِ ، فأرسلَ اليه هذه اللطائفَ ، من أجلِ أن يَحْضُرَ لمقابلتِه .

وهذا الاكرامُ للعلماءِ من عادةِ أجدادِنا العربِ ، فقد كانوا يقدّرونَ العلمَ والعلماءَ ، ويبذُلونَ لهم الخيرَ الكثيرَ .



خرجَ عبدُ الملك من حُجرتهِ . وقد ارتدى ثياباً فاخرةً . وتطيَّبَ بالعطرِ والبَخُور . فبدا في أجملِ صورةٍ وأبهى هيئة . وسَرعانَ ماقَدَّمَ اليه أحدُ الجنودِ حِصاناً جميلاً مُسْرَجاً . فركِبهُ . ومضى لمقابلةِ الوالي في موكبٍ بديعٍ . بينما كان البقالُ يكاد لايُصَدِّقُ مايرى من فَرْطِ الدهشةِ والعَجَبِ .





رَحَّبَ والي البصرةِ بعبد الملك . وأجلسَه إلى جانبه في إعزازٍ وقال له :

- عَلِمَ الخليفةُ هارونُ الرشيدِ في بغدادَ . بما وصلْتَ إليه من العلمِ وما أنتَ عليه من الاستقامةِ . لذلك اختاركَ لمهمةٍ هُناك .

فامتثلَ عبدُ الملك لأمرِ الخليفةِ .

وسافرَ إلى بغداد .

كان لقاءُ الرشيد بعبد الملك ، معبراً عن مكانتهِ العلميةِ . والعربُ يقدّرون العلمَ والعلماءَ . ثم كلّفَ الرشيدُ عبدَ الملك بمهمةِ التعليمِ ، وأجرى عليه راتباً شهرياً يليقُ بأمثالهِ من العلماءِ .

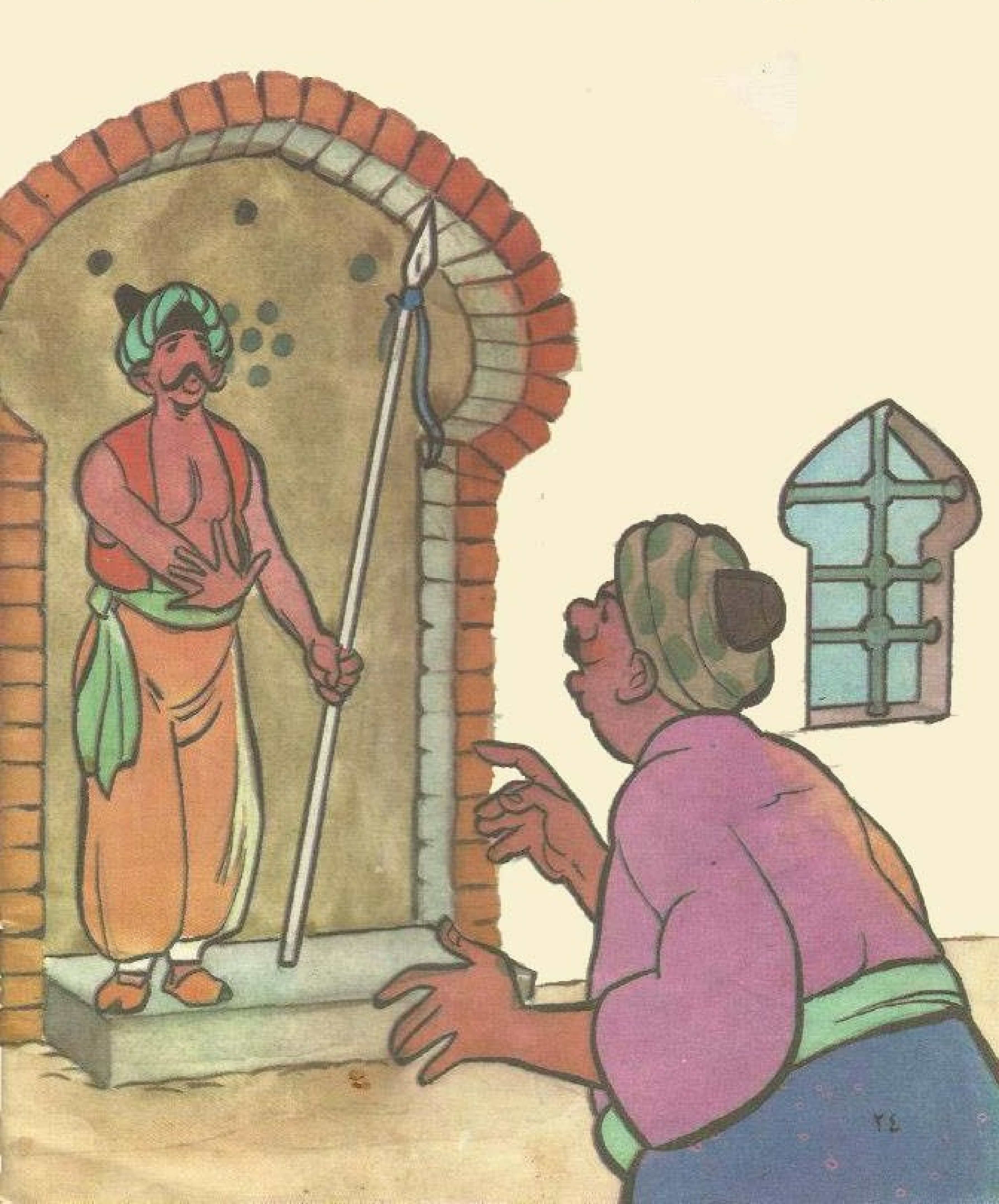
قامَ عبدُ الملك بالمهمةِ التعليميّةِ خيرَ قيامٍ . فاكتسبَ بذلك ثقةَ الناسِ فيه . وصارَ يُجالِسُ العلماءَ ، ويؤلفُ الكتبَ ، مُواصلاً طريقَ العلمِ والمعرفةِ ، الذي أحبَّه منذُ صِغَرِه .







اشتاقَ عبدُ الملك إلى بلدهِ الأولِ (البصرة) فأحبَّ أن يزورَها . فرحلَ إليها . واشترى منزلاً حسَناً . وعَلِمَ الناسُ بوجوده فتوافَدُوا للسلام عليه . وكان ممن سمع بذلك المبقال أبو عيسى ، فأسرَع للسلام على عبد الملك . ولكنَّ حارسَ المنزلِ منَعه .

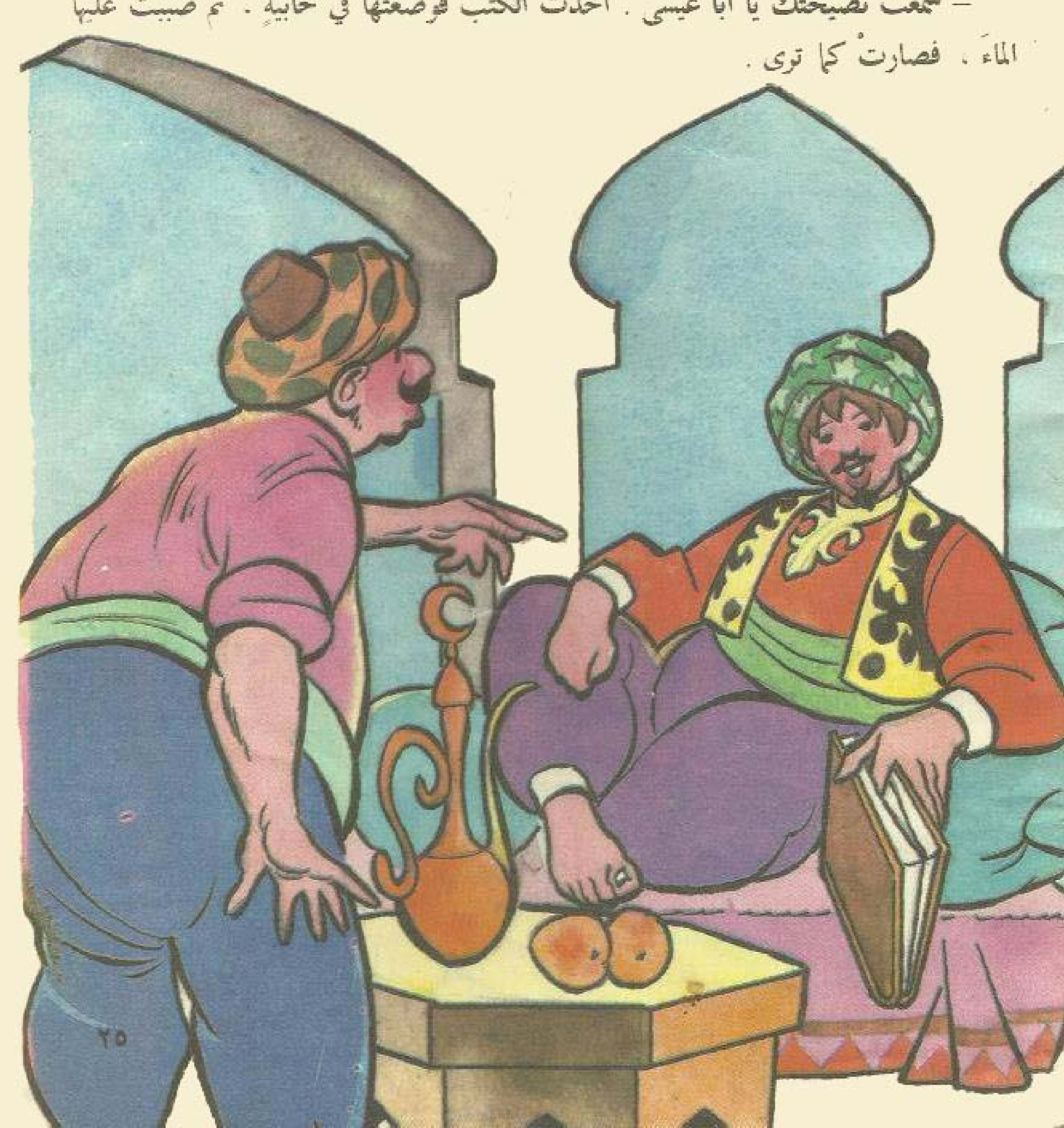


فأخذَ البقالُ يصيحُ وينادي عبدَ الملك . فسمعه من داخلِ المنزل . فَعَرفَهُ وخرجَ إليه مبتسماً مُرحِّباً . فسلّم عليه أبو عيسى . ودخلَ معه إلى المنزل . وأكبَرَ ما وَصَلَ إليه من مكانةٍ في نفوسِ الناس فسأله :

– ياعبدَ الملك . كيف وصلتَ إلى هذه المكانةِ . وكنتَ تعيشُ على دِرْهَمِ الخال عمارة . تأكُلُ به يوماً ، وتكتري كتباً بدرهمِ اليومِ الثاني ؟

فأجابَ عبدُ الملك وهو يداعِبُ أبا عيسى :

– سمعتُ نصيحَتكَ يا أبا عيسى . أخذتُ الكتبَ فوضعتُها في خابيةٍ . ثم صَبَبْتُ عليها الماءَ ، فصارتْ كما ترى .





الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والاعلام – دائرة ثقافة الأطفال – مكتبة الطفل

الناشر : دائرة ثقافة الأطفال . ص . ب ١٤١٧٦ بغداد

ثمن النسخة ٥٠ فلسا عراقيا أو ما يعادلها